أثـر السـياق في تـوجيـه الجوانـب النحويـة كتـاب تـفسـير عقـود المرجان أنموذجًا

أ.د. محمد عبد الرضا فياض	كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
	fayadh.dr@gmail.com
فاطمة خضر عبدالله	كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة
	fatima_khudr@iku.edu.iq

الملخص:

يستعرض هذا البحث دراسة أثر السياق النحوي في توجيه القراءات القرآنية، من خلال دراسة تطبيقية لنماذج من القرآن الكريم في تفسير عقود المرجان للسيد نعمة الله الجزائري. وقد ركّز البحث على جوانب مختلفة بالنحو، مثل الرفع والنصب، والجر، والجزم، موضحًا كيف أسهم السياق في تفسير أوجه القراءة وتوجيهها. وأظهر البحث أنّ السياق النحوي يلعب دورًا حاسمًا في الكشف عن مراد القارئ، وتحديد الوجه الأنسب للقراءة من حيث المعنى والتركيب. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي، والمقارنة بين القراءات، في ضوء ما ورد في تفسير عقود المرجان، مع الإشارة إلى أوجه الدلالة التي يدعمها السياق.

الكلمات المفتاحية: السياق، الجوانب النحوية، القراءات القرآنية، السيد نعمة الله الجزائري، الرفع والنصب، الجر، والجزم.

The Impact of Context on Directing Grammatical Aspects in the Book Tafsir Uqud al-Marjan: A Case Study

Prof. Dr. Mohammed Abdul Ridha Fayyadh Researcher: Fatima Khudhur Abdullah
Imam Al-Kadhim College for Islamic Sciences – University

Abstract
This study explores the integration of grammatical context in guiding Quranic readings, through an applied study of Quranic examples found in Sayyid Ni'matullah al-Jaza'iri's interpretation of Aqūd al-Marjan. The study focuses on various aspects of grammar, such as nominative and accusative, genitive, and jussive, explaining how the contextual context can be mapped to interpret the reading. The research demonstrated that grammatical context plays a crucial role in revealing the reader's intent and determining the most appropriate reading in terms of meaning and structure. The study relied on an analytical approach and a comparison between readings, in light of what was stated in the interpretation of Aqoud Al-Marjan, with reference to the aspects of meaning supported by the contex.
Keywords: context, grammatical aspects, Quranic readings, Sayyid Nimatullah al-Jaza'iri, nominative and accusative, genitive, and jussive.

المقدمة:

تُعدّ القراءات القرآنية مظهرًا من مظاهر الإعجاز اللغوي والدلالي في القرآن الكريم، فهي تبيّن ثراء النص وتعدُّد دلالاته ضمن حدود اللغة والسياق. وقد أزداد اهتمام علماء التفسير واللغة بتوجيه هذه القراءات من خلال قواعد النحو والصرف، إلا أنَّ السياق وخاصة السياق النحوي – ظل

عاملًا حاسمًا في ترجيح بعض الأوجه على بعض، بما يتوافق مع انسجام النص القرآني ودقّته البيانية. وقد جاءت هذه الدراسة لتسلّط الضوء على أثر السياق في توجيه الظواهر النحوية وارتباطها بالقراءات القرآنية، ويتضح ذلك من خلال نماذج تطبيقية في تفسير عقود المرجان للسيد نعمة الله الجزائري.

ركزت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث رئيسة تتناول أبرز الجوانب النحوية المتأثرة بالسياق: المبحث الأول تناول ظاهرة الرفع والنصب، من خلال نماذج قرآنية تتعدّد فيها أوجه الإعراب، ويُبرز كيف أنّ السياق اللغوي والسياق العام للسورة يوجّه اختيار القارئ للوجه النحوي المناسب. أما المبحث الثاني فيتعلّق بـ الجرّ، ويبيّن كيف أنّ السياق يلعب دورًا في تحديد العلاقة الإعرابية بين الكلمات، خاصة في المواضع التي ترد فيها القراءات على أوجه مختلفة بين الجرّ ووجوه نحوية أخرى، مما يؤثر في البنية التركيبية والمعنى العام. ويُختص المبحث الثالث بـ الجزم، وما يرتبط به من أدوات وأفعال، وكيف أنّ اختلاف الأدوات، ومواضعها في السياق، يؤثر على توجيه القراءة في هذا الجانب، ويُظهر فهمًا أعمق للعلاقات النحوية في ضوء السياق.

ونسعى في هذه الدراسة إلى بيان الدور الحيوي للسياق النحوي في التفسير، وكيف أنّ اعتماد القارئ أو المفسّر على السياق لا يمنحه فقط فهمًا أدق للآية، بل يُسهم كذلك في الكشف عن أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم، عبر القراءات المختلفة، التي تظل جميعها تحت مظلة التواتر والقبول.

أولاً: قراءات الرفع والنصب

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة/7]

اختلف القراء في قوله تعالى (غِشاوَةٌ) بالرفع والنصب، فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر(غِشَاوَةً) نصبًا بألف وكسر الغين، وقرأ حمزة والكسائي (غَشَوَةً) بفتح الغين بغير ألف.(ينظر: الزمخشري: 1987م، 35/1، الجزائري:1388ه:41/1، الأزهري:1412هـ، 132/1) والغشاوة في اللغة: بمعنى الغطاء(ابن منظور: 1414هـ، 54/11)

فالحجة لمن رفع (غشاوة) أنّه لم يحمله على (ختم) وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة. فإذا لم يحملها عليه، قطعها عنه، فكانت مرفوعة إمّا بالظرف، وإمّا بالابتداء، فكأنّه قال غشاوة على أبصارهم. (الطبرسي:1995م، 94/1-95، ابن خالويه:1401هـ، 67).

وحجة من نصب (غشاوةً) على إضمار فعل (وجعل)، كأنّه قال: وجعل على أبصارهم غشاوةً، كما قال عبد الله بن الزبعري: يا ليتَ زَوجَكَ قد غَدَا ... متقلّداً سيفاً ورُمْحا

أراد: متقلدا سيفا وحاملا رمحا ؛لأنّ الرمح لا يتقلد. (الأزهري:1412هـ، 132/1، الطبرسي:1995م، 95/1)

بين السيد نعمة الله المعنى العام لقوله تعالى "وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنّهم الذين لا يؤمنون. (وَعَلى سَمْعِهِمْ) كذلك بسمات (وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ) وذلك بأنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه وجهلوا ما لزمهم من الإيمان، فصاروا كمن على عينيه غشاوة لا يبصر".(الجزائري: 1388هـ، 41/1)

والختم: في اللغة يراد منه الطبع والختم من الباب الثاني، أو هو كما قال الزجاج(ت311هـ: ("معنى ختم وطبع في اللغة معنى واحد، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألا يدخله شيء، كما قال الله تعالى (أم على قلوبٍ أقفالها)[محمد:24]"(الزجاج:1988م، 82/1)

وذكر السيد معنى آخر وهو: شهد عليها بأنّها لا تقبل الحقّ كقولك: قد ختمت عليك بأنّك لا تعلم أي: شهدت. وقال قوم: إنّ ذلك على وجه الدعاء عليهم لا الإخبار عنهم.(الجزائري: 1388هـ، 41/1، وينظر: الطوسي: 1409هـ، 36/1).

وذكر الطوسي(460هـ): "في معنى الختم وجوهًا أحدها: إنّ المراد بالختم العلامة، وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنّه لا يؤمن، فإنّه يعلم على قلبه علامة. وثانيها: إنّ المراد بالختم على القلوب أنّ الله شهد عليها، وحكم بأنّها لا تقبل الحق، وثالثها: إنّ المراد بذلك أنّه تعالى ذمهم بأنّها كالمختوم عليها في أنّه لا يدخلها الإيمان، ولا يخرج عنها الكفر".(ينظر:الطبرسي:1995م، 96/1-97)

فسر العكبري(616هـ) قوله تعالى(وعلى سمعهم): "إنّ السَّمْعَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ سَمِعَ، وَفِي تَقْدِيرِهِ هُنَا وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ مَصْدَرًا عَلَى أَصْلِهِ، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: عَلَى مَوَاضِعِ سَمْعِهِمْ؛ لِأَنَّ نَفْسَ السَّمْعِ لَا يُخْتَمُ عَلَيْهِ. وَالثَّانِي: إِنَّ السَّمْعَ هُنَا اسْتُعْمِلَ بِمَعْنَى السَّامِعَةِ، وَهِيَ الْأُذُنُ"(العكبري:23/1)

هذه الآية تأتي في سياق الحديث عن الذين كفروا فتصف حالهم من الإعراض والصد عن الإيمان. فالدلالة السياقية لقوله تعالى تشير إلى الطبع والإغلاق الكامل، أي إنّ قلوبهم لم تعد قابلة لاستقبال الإيمان، لا من جهة الفهم ولا من جهة التأثر، والختم هنا عقوبة على إصرارهم على الكفر،

وليس ابتداءً. والسمع قد تعطّل عن أداء وظيفته؛ لأنّهم لا ينصتون للحق أو لا يتأثرون به، رغم سماعه، والغشاوة على الأبصار هي تعبير مجازي يدل على العمى الباطني، أي إنّهم لا يبصرون دلائل الإيمان وآيات الله، فهم غارقون في العمى القلبي والروحي، وإن كانت أعينهم تعمل جسدياً.

﴿قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه:59]

قرأ هبيرة عن حفص والحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلة (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَةِ) بالنصب، وقرأ الباقون(يَوْمُ) بالرفع(ينظر: ابن مهران، 1981م، 295، الجزائري: 1388هـ، 250/3)

من قرأ (يومُ الزينة) بالرفع، فالرفع على خبر الابتداء، والمعنى وقت موعدكم يوم الزينة، فناب الموعد عن الوقت. ومن قرأ (يومَ) بالنصب، فمنصوبٌ على الظرف، المعنى يقع يوم الزينة.(الزجاج: 1988م، 360/3، ابن الجوزي:1422هـ، 163/3، الرازي:1420هـ، 72/22) فمن رفع جعل الموعد هو اليوم، ومن نصب جعل الموعد في اليوم.

(قال موعدكم يوم الزينة) أَيْ: وقتُ موعدكم يوم الزِّينة. ويوم الزينة: قيل: يوم النوروز، وقيل: يوم عاشوراء، وقيل: يوم عيد لهم كل سنة يتزينون ويجتمعون فيه.(الزجاج: 1988م، 360/3، السجستاني: 1995م، 275، الجزائري: 1388هـ، 250/3) وقوله: (وأن يحشر الناس ضحى) معطوف على الزينة أو على يوم بتقدير اليوم أو الوقت ونحوه والمعنى قال موسى موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس في الضحى، وليس من البعيد أن يكون مفعولا معه والمعنى موعدكم يوم الزينة مع حشر الناس في الضحى ويرجع إلى الاشتراط. وإنما اشترط ذلك ليكون ما يأتي به ويأتون به على أعين الناس في ساعة مبصرة.(الطباطبائي:173/14، الطبري: 2001م، 323/18) ويريد بالناس أهل مصر.(الطبرسي:1995م، 34/7) وعيّن موسى ذلك اليوم

ليظهر الحقّ وليزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار.(الجزائري: 1388هـ، 250/3)

الآية تأتي في سياق الحديث قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، وتحديدًا حين تحدّاه فرعون علنًا، وأراد أن يُظهر كذبه للناس، فطلب أن يُؤجَّل اللقاء ليجمع السحرة. وتحدد هذه الآية موعد المواجهة وهو في يوم عيد، وفي وقت الضحى، وأمام جمع من الناس. وهذا يدل سياقيًا على أنّ دعوة الحق لا تخشى المواجهة العلنية، وأنّ موسى أراد للآية أن تظهر أمام الجميع، في وقت الصفاء والرؤية الكاملة، حتى لا يكون للباطل حجة.

ثانيًا: قراءات الجر

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ﴾ [الذاريات:46]

اختلفت القرّاء في قراءة قوله تعالى (وَقَوْمَ نُوحٍ). فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم (وقومَ نوحٍ) بالنصب، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (وقومِ نوحٍ)خفضًا.(الجزائري: 1388هـ، 595/4، الزجاج: 1988م، 57/5، ابن زنجلة:680) فمن خفض عطفا على (وَفِي مُوسى) أي: وفي قوم نوح آية وعبرة. ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ). ومعنى أخذتهم الصاعقة أهلكناهم -أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود. (الزجاج: 1988م، 57/5، الجزائري: 1388هـ، 595/4، النحاس: 1421هـ، 166/4)

معنى قوله تعالى(وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ: (أي أهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود إِنَّهُمْ كانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغى يعني: أشد في كفرهم، وطغيانهم؛ لأنّه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فدعاهم، فلم يجيبوا، وكان الآباء يوصون الأبناء بتكذيبه(السمرقندي: 1993م، 367/3) (فاسِقِينَ) أي: خارجين عن الإيمان إلى الكفر(الجزائري:1388هـ، 595/4)

السياق العام لسورة الذاريات يسرد نماذج من الأمم السابقة التي كذبت الرسل، ابتداءً من قوم إبراهيم، ثمّ قوم لوط، ثمّ عاد، ثمّ ثمود، ثمّ فرعون، حتى يصل إلى قوم نوح. وإنّ الفسق هو العلة الجامعة لهلاكهم.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الاعراف:59]

اختلفت القَرَاء في قراءة قوله: (غيره) بالرفعِ والجر.

فقرأ الكسائي وَحده (غَيْرِهِ) خفضًا، وقرأ الباقون (غَيْرُهُ) رفعًا في كل القرآن(ينظر: ابن مجاهد:284، النحاس: 1421هـ، 59/2، ابن مهران:210، الجزائري: 1388هـ، 159/2)

فالحجة لمن رفع: إنّه جعله حرف استثناء، فالمعنى ما لكم إلهٌ غيرُهُ، ودخلت (مِنْ) مَؤكدةً. والحجة لمن خفض: إنّه جعله وصفا لإله، ولموافقة اللفظ المعنى، ولم يجعله استثناء.(الفارسي: 1993م، 40/4، الزجاج: 1988م، 348/2، الازهري: 1421هـ، 410/1) ومعنى (ما لكم من إله غيره) أي: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره؛ لأنّه لا رب غيره يدبر أمركم حتى تعبدوه رجاء لرحمته أو خوفا من سخطه.(الطبري: 2001م، 34/17)

هذه الآية تأتي في سياق الحديث عن تحذير المشركين من الاستمرار في شركهم، وتؤكد على وحدانية الله وملكوته. الآية تُستخدم في القرآن الكريم لتأكيد حقيقة أنّ الله هو الإله الواحد الذي لا شريك له، وأنّ الآلهة التي يعبدها المشركون لا تملك أي قدرة أو سلطان.

ثالثًا: قراءات الجزم

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الاعراف:186]

فسّر معنى قوله تعالى: "(مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ)أي: من يخذله الله عن دين الإسلام فلا هادي له إلى الهدى(وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ) أي: يتركهم في ضلالتهم يترددون(السمرقندي:572/1، الجزائري: 1388هـ، 230/2) وَعَطْفُ جُمْلَةِ:(وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ)عَلَى جُمْلَةِ:(مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ) لِلْإِشَارَةِ إِلَى اسْتِمْرَارِ ضَلَالِهِمْ وَانْتِفَاءِ هَدْيِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَا وَقَعَ فِي الْمَاضِي(ابن عاشور: 1997م، 199/9)

جاء في قوله تعالى (وَيَذَرُهُمْ) قراءات مختلفة منها:(الجزائري: 1388هـ، 230/2، الزمخشري: 1987م، 183/2، الازهري:1412م، 431/1)

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر: (ونَذَرُهُمْ) بالنون وبالرفع، على أنّه عطف جملة على جملة: من يضلل الله على طريقة الالتفات من الغيبة إلى التكلم.

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف:(وَيَذَرْهُمْ) بالياء والجزم، على أنّه عطف على موضع فلا هادي له وهو جواب الشرط.

وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (وَيَذَرُهُمْ) بالياء وبالرفع.

وقال أبو منصور(370هـ): "مَنْ قَرَأَ (ونَذَرُهُمْ) بالنون فالنون لا يجوز فيه غير الرفع، يقول الله جلَّ وعزَّ: ونَذَرُهم نحن، مستأنفًا" .(الازهري: 1412هـ، 431/1)

وقال أبو علي الفارسي (377هـ): "حجة من رفع أنّه قطعه مما قبله؛ فإمّا أن يكون أضمر المبتدأ فصار ويذرهم في موضع خبر المبتدأ المحذوف، وإمّا أن يكون استأنف الفعل فرفعه" (الفارسي: 1993م، 109/4، الزجاج: 1988م، 393/2). وأمّا من جزم" فحجته فيما يقول سيبويه أنّه عطف على موضع الفاء، وما بعدها من قوله (فلا هادي له)؛ لأنّ موضع الفاء مع ما

بعدها جزم؛ فحمل ويذرهم على الموضع، والموضع جزم"(الفارسي: 1993م، 110/4).

فالسياق العام لهذا الآية الكريمة يتحدث عن قومٍ تبين لهم الحق، ثمّ انحرفوا عنه باختيارهم، فكان نتيجة ذلك أن أضلهم الله جزاءً على إعراضهم، وهم المكذبين بالرسل. فالآية الكريمة تُبرز في سياقها أنّ الضلال الذي يُحكم به على بعض الناس هو جزاء عدلٌ على اختيارهم للباطل وإعراضهم عن الحق رغم وضوحه، وأنّ من يصل إلى هذه المرحلة، فإنّ الله يتركه في ضلاله يتحير ويضطرب، فلا عقل يهتدي، ولا قلب يبصر، ولا وحي ينفعه.

﴿يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:271]

أورد السيد قراءتين في(نكفر) هما :الرفع والجزم(الجزائري: 1388هـ، 261/1). وجاء ذكر هذه القراءات في مصادر مختلفة(ينظر: الطوسي: 1409هـ، 351/2، الطبرسي198/2، الطبري:584/5، الزجاج:1988م، 356/1):

فقرأ نافع، وحمزة، وخلف، والكسائي، وأبو جعفر، بالنون وجزم الراء. (وَنُكَفِّرْ)

وقرأ ابن كثير، وابو عمرو، ويعقوب، وعاصم، بالنون ورفع الراء. (ونُكَفِّرُ)

وقرأ ابن عامر الدمشقي، وعاصم الكوفي، بالياء ورفع الراء. (ويُكَفِّرُ)

من قرأ (ونكفر عنكم من سيئاتكم) فرفع، كان رفعه من وجهين:

أحدهما: أن يجعله خبر مبتدأ محذوف تقديره: (ونحن نكفّر عنكم سيئاتكم). والآخر: أن يستأنف الكلام ويقطعه مما قبله، فلا يجعل الحرف العاطف للاشتراك ولكن لعطف جملة على جملة.

وأمّا من جزم فقال: ونكفر عنكم فإنّه حمل الكلام على موضع قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)؛ لأنّ قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) في موضع جزم، ألّا ترى أنّه لو قال: وإن تخفوها يكن أعظم لأجركم، لجزم.

فقد علمت أنّ قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) في موضع جزم فحمل قوله: ويكفر على الموضع. ومثل هذا في الحمل على الموضع أن سيبويه زعم أنّ بعض القراء (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ) [الأعراف/ 186]؛ لأنّ قوله: (فَلا هادِيَ لَهُ: (في أنّه في موضع جزم مثل قوله: (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

فأمّا النون والياء في قوله: نكفّر، ويكفّر، فمن قال: ويكفّر فلأن ما بعده على لفظ الإفراد، فيكفّر أشبه بما بعده من الإفراد منه بالجمع. وأمّا من قال:(نكفّر) على لفظ الجمع، فإنّه أتى بلفظ الجمع، ثم أفرد بعد كما أتى بلفظ الإفراد ثمّ جمع في قوله تعالى:(سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ) [الإسراء/ 1] ثمّ قال: (وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ) [الإسراء/ 2](ينظر: الفارسي: 1993م، 401/2، الزجاج: 1988م، 355-356، الطوسي: 1409هـ، 352/2)

(والله بما تعملون خبير) معناه أنّه تعالى بما تعملونه في صدقاتكم من إخفائها وإعلانها عالم خبير به لا يخفى عليه شئمن ذلك فيجازي على جميعه بحسبها.(الطوسي: 1409هـ، 353/2، الطبرسي:199/2)

هذه الآيات في المجمل تتحدث عن الإنفاق في سبيل الله، وتحفز على الصدقة وتبين أحكامها وآدابها. فذكر الله تعالى في الآية السابقة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) فبيّنت أنّ النية والمقصد في الإنفاق مرعية عند الله. السياق العام هنا يدل على أنّ إخفاء الصدقة مع إخلاص النية هو عملٌ راقٍ في سلم الإيمان، لا تقتصر بركته على نفع المحتاج، بل تمتد لتشمل تطهير النفس ومحو الذنوب. والتكفير هنا ليس جزاءً آليًا، بل مرتبط بالنية والإخلاص، بدليل ختم الآية بـ"والله بما تعملون خبير.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[مريم:6]

اخْتلفُوا في الجزم والرفع في قَوْله تعالى (يَرِثنِي وَيَرِث) فقرأ ابْن كثير وَنَافِع وَعَاصِم وَابْن عَامر وَحَمْزَة (يَرِثنِي وَيَرِث) برفعهما، وقرأ أَبُو عَمْرو والكسائي(يَرِثنِي وَيَرِث) بالجزم فيهمَا. (النحاس: 1421هـ، 5/3، الجزائري: 1388هـ، 191/3، ابن الجوزي: 1422هـ، 118/3)

من قرأهما بالجزم فإنّهما جواب الأمر، وإنما صار جواب الأمر مجزوما؛ لأنّ الأمر مع جوابه بمنزلة الشرط، والجزاء، أي: هب لي وليا، فإنك إن وهبته لي ورثني. ومن رفعهما فلأنّه صفة للولي، معناه هب لي الذي هذه حاله وصفته؛ لأنّ الأولياء قد يكون منهم الوراثة وغيرهم، فيقول: هب لي الذي يكون ورائي وارث النبوة. إنّه سأل وليّا وارثا علمه ونبوّته. ثم قال: وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا، يعني: صالحاً زكياً. (الازهري:1412هـ، 130/2، ابن خالويه: 2006م، 247.

واختلف المفسرون في أنّ المراد بالميراث العلم أو المال في قوله تعالى (يرثني ويرث) فقالوا معناه يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة. وقالوا يرثني العلم والنبوة، وقالوا يرث علمه. وقالوا يرث نبوته ونبوة آل يعقوب. (الطوسي: 1409هـ، 106/7)

قوله تعالى: (من آل يعقوب) قيل: هو يعقوب بن إسرائيل، وكان زكريا متزوجا بأخت مريم بنت عمران، ويرجع نسبها إلى يعقوب؛ لأنّها من ولد سليمان بن داود وهو من ولد يهوذا بن يعقوب، وزكريا من ولد هارون أخي موسى، وهرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب، وكانت النبوة في سبط يعقوب بن إسحاق. وقيل: المعنى بيعقوب ها هنا يعقوب بن ما ثان أخو عمران بن ما ثان أبي مريم أخوان من نسل سليمان بن داود عليهما السلام؛

لانّ يعقوب وعمران ابنا ما ثان، وبنو ما ثان رؤساء بني إسرائيل، قاله مقاتل وغيره. (القرطبي:1964م، 82/11)

ورد هذا النص القرآني في مطلع سورة مريم، وهو يتحدث عن دعاء زكريا (عليه السلام) وهو شيخ كبير وامرأته عاقر، يسأل الله أن يرزقه ولدًا صالحًا يرثه. السياق العام للآية الكريمة يدل على أنّ زكريا خائف من ضياع الرسالة والحق بعد موته: "إنّي خفت الموالي من ورائي". لذلك طلب وليًّا يكون وارثًا شرعيًا لحمل الرسالة، الوراثة هنا هي استمرارية للمنهج الإلهي، وضمان عدم انقطاع النور الرباني في بني إسرائيل وليس وراثة المال؛ لأنّ الأنبياء لا يرثون المال. الوراثة من آل يعقوب هنا تأكيدٌ على أن الولد يكون وارثًا للميراث المعنوي النبوي الذي يشمل (العلم النبوي والمنزلة بين الناس والرسالة والدعوة) في هذا البيت المبارك.

الخاتمة:

ومن جملة النتائج التي توصل إليها البحث هي:

1- من خلال هذه الدراسة تبين أنّ السياق يلعب دورًا محوريًا في ترجيح دلالة معينة دون غيرها، خاصة في المواضع التي تتعدد فيها القراءات القرآني، وهذا يعني أنّ الدلالة السياقية أداة حاسمة في توجيه المعنى القرآني.

2- اعتمد السيد نعمة الله الجزائري على السياق بشكل واضح في تفسيره من خلال تحليل بعض العينات في تفسير "عقود المرجان"، تبين أنّ المؤلف يولي السياق عناية كبيرة عند ترجيح قراءة معينة أو شرح المعنى، وهذا يدل على وعي دلالي عميق في منهجه التفسيري.

3- السياق النحوي يُعدّ من أهم أدوات التفسير والتوجيه في القراءات القرآنية، إذ يُسهم بشكل مباشر في تحديد البنية الإعرابية التي تنسجم مع المعنى المراد.

4- في الجانب النحوي، فبرز أثر السياق في الرفع والنصب والجر والجزم، لا سيما حين تتغير مواقع الإعراب تبعًا للقراءة، فيُعاد بناء المعنى وفق مقتضى السياق.

5- أظهرت الدراسة أنّ التوجيه النحوي للقراءات لا ينفصل عن البعد الدلالي، وأنّ السياق يمثل جسرًا يربط بين البنية النحوية والمعنى المقصود.

6- ظهر أنّ السياق لا يقتصر على حدود الجملة، بل يمتد أحيانًا إلى السياق النصي الكامل، أو حتى إلى السياق الثقافي والديني، مما يجعل التفسير عملاً تأويليًا مركبًا.

قائمة المصادر والمراجع:

-الجزائري، نعمة الله، عقود المرجان في تفسير القرآن، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، ايران –قم، ط1، 1388هـ.

-ابن مجاهد (324هـ)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ط2، 1400هـ.

-الأصبهاني (ت 603هـ)، ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1327هـ - 2006م.

-ابن زنجلة (403هـ)، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

-ابن خالويه (370هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، ط4، 1401هـ.

-الفارسي (377هـ)، أبو علي، الحجة للقراء السبعة ، المحقق: بدر الدين قهوجي- بشير جويجابي ، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح- أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث ، دمشق/ بيروت، ط2، 1993م.

-السمرقندي (375هـ)، أبو الليث، بحر العلوم، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد علي معوض - الشيخ عادل احمد عبد الموجود - الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1993م.

-الطوسي (460هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1409.

-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: احمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.

-الأزهري (370هـ)، ابو منصور، معاني القراءات، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب ـ السعودية، ط1، 1991م - 1412هـ.

- ابن منظور (711هـ)، لسان العرب، الحواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.

-الطبرسي (548هـ)، تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1995م.

-الزمخشري (538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط3، 1407هـ - 1987م.

-الزجاج (311هـ)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط١، 1988م.

-العكبري (616هـ)، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

-ابن مهران (381هـ)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، 1981م .

-ابن الجوزي (597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1422هـ.

-الرازي (606هـ)، فخر، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.

-السجستاني، أبو بكر العُزيري (330هـ)، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، المؤلف: المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران، الناشر: دار قتيبة – سوريا، ط1، 1995م.

-الطبطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

-الطبري (310هـ)، تفسير الطبري جامع البيان، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 2001م

-النَّحَّاس (ت 338هـ)، أبو جعفر، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

-ابن عاشور (393هـ)، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، النشر: دار سجنون تونس، 1997.